مكتبة الدراسات التاريخية

الفن الحربيّ فى صدر الإسلام

العبد الفقير الى رحمة ربه الغفور -
محمد احمد -

بقلم
عبد الرءوف عون

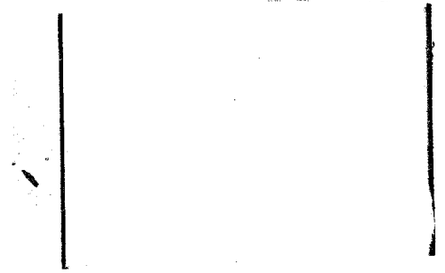

دار المعارف بمصر
١٩٦١

الإهـداء

« إلى من هو سر وجودى ، ومن غذا بالطيّب عودى ، إلى من زج بى فى أنوار المعرفة ، وزودنى بحكمته وموعظته الحسنة، إلى أبى الشيخ عبد الصمد عون ، أهدى باكورة إنتاجى العلمى ، وكذا إلى روح الوالدة الطاهرة ، التى كانت لنا نعم السند والمدد » .

عبد الرءوف عون

تصدير

لقد كانت فكرة هذا الكتاب تراودنى منذ أمد بعيد ، يوم تخرجت ضابطاً احتياطيًّا ، وقد أخذت بحظ لا بأس به من الفنون العسكرية الحديثة ، وأذكر أن الذى جعل تلك الفكرة تلحّ علىّ ، وتبالغ فى إلحاحها أحياناً ، أنى ألقيت محاضرة فى بعض الأمسيات ، على زملائى وقادتى بالكلية الحربية ، وكان موضوعها : « مواقف تكتيكية من حياة الرسول » وبالرغم من أن المحاضرة لم تعد إعداداً كافياً ، فقد أعجب بها السامعون ، وبخاصة بعض كبار الضباط الذى شرفنى بطلبها منى ، فنسخها ثم أعادها إلىّ شاكراً ، ثم شجعنى بأن طلب منى الاستمرار فى مثل تلك البحوث الحربية الإسلامية ، فنزلت على رأيه ومضيت فى سبيلى .

وفى تلك الفترة ظهر للناس كتاب « عبقرية محمد » لأستاذنا الكبير الأستاذ « عباس محمود العقاد » فكنت من المبادرين إلى قراءته ، وإذا بى أجد فيه فصلا ممتعاً عن « عبقرية محمد الحربية » أجمل فيه كثيراً مما كنت أنوى الكتابة فيه .

وفى الحق أن هذا الكتاب ثبط من همتى إلى حين ، فقد قالت لى نفسى : وماذا عسى أن يغنى كتابك بعد كتاب العقاد ؟ وماذا عسى أن يقرأ الناس لك بعد العقاد ؟

ولا أدرى لماذا داومت الفكرة إلحاحها ، وأخذت معالمها تزداد وضوحاً فى ذهنى ؟ ولا أدرى أيضاً لماذا وجدت نفسى مدفوعاً إلى كتب التاريخ ، أستوعبها وأنقب فى صفحاتها وأقبلت كذلك على قراءة الكتب الغربية ، التى تعرضت للفنون الحربية بوجه عام ، وللفن الحربى الإسلامى بوجه خاص .

ولما طلع على البلاد فجر الثورة المبارك عام ١٩٥٢ ، استبشر الناس بها ، وعلقوا الآمال الكبار عليها ، ووجدت نفسى مدفوعاً إلى بحث الموضوع بنشاط ملحوظ ، وتقدمت به إلى جامعة القاهرة ، لأنال به درجة الماجستير ، محاولا به أن أبرز

أمجادنا الحربية القديمة ، ومهارة أسلافنا الماضين ، فى سياسة الحروب وإدارتها ، وأن أرد عن المسلمين كثيراً من التهم التى ألصقها بهم المستشرقون .

وما إن أوفيت على الغاية ، ودنوت من النهاية ، حتى كان العدوان الثلاثى الغاشم على وطننا الحبيب عام ١٩٥٦ ، فاستدعيت للعمل بالجيش مع زملائى ضباط الاحتياط ، وبقيت أعمل به قرابة عام ، قائداً لإحدى كتائب الحرس الوطنى ، وقد بذلت قبل العدوان وفى أثنائه من المجهود البدنى والعقلى ، ما جعلنى أمرض مرضاً يتطلب الراحة لفترة طويلة ، وبعد أن منّ الله علىّ بالشفاء ، استأنفت العمل بجد ومضاء ، مضحياً فى سبيل ذلك برغبات النفس ، وراحة البدن ، ويعلم الله كم قاسيت من المتاعب ، وكم لقيت من المصاعب ، وكم سهرت الليالى فى تحليل النصوص القديمة ، لاستخلاص الحقائق التاريخية منها ، والمقارنة بينها لتوضيح تضاربها ، وتنسيق تعارضها .

أذكر من ذلك على سبيل المثال ، أنى قرأت عن بعض الأعراب ، أنه كان حارساً لقومه فى بعض الليالى ، فرأى شبحاً يدنو منه فى الظلام ، فأعد قوسه وأطلق عليه بعض أسهمه ، فاختفى الشبح ولم يظهر له أثر ، فظنه الحارس كلباً أو ذئباً ، ثم قال لزوجته التى كانت إلى جواره : « إذا أصبحت فاجمعى علىّ سهامى ، لئلا تمضغها الكلاب » فصرت أتساءل : وكيف تمضغ الكلاب السهام ؟ ولماذا ؟ وأخذت أوجه السؤال لبعض ذوى المعرفة ، فلم أرجع بجواب ناجع ، وظللت مدة قرأت فى أثنائها كثيراً من الكتب التى تعرضت للفنون الحربية ، والتى وصفت السلاح ، وزرت المتاحف الحربية التى تحتفظ بنماذج له ، إلى أن عرفت السبب فى مضغ الكلاب للسهام ، ذلك أن نصل السهم يشد عليه عند مدخل الخشب فيه سيور من الجلد القوى ، كما يشد على آخر السهم بعض ريش الطيور ، لتحفظ توازنه عند انطلاقه ، فالكلاب تقبل على السهام ، لما بها من الجلد والريش .

هذا إلى أمثلة كثيرة من هذا القبيل ، لا يدرك مدى فضيلة الصبر عليها ، إلا من عاناها وزاولها ، وقديما قال الشاعر :

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيهـا

فإلى الشباب العربى الناهض ، أقدم كتابى هذا ، ليعلموا مفاخر أجدادهم فيحتذوها ، وليقفوا على نواصع أمجادهم فيعيدوها ، فإنا فى زمن لا يعيش الحق فيه ، إلا إذا كانت القوة تدعمه وتقويه ، فإلى أسباب القوة يا شباب العرب ، وإلى ينابيع القومية العربية ، تحققوا لبلادكم نصراً أى نصر ، ولأنفسكم عزّاً أى عز .

وفقنا الله جميعاً إلى ما فيه خير الدارين ، وأخذ بأيدينا جميعاً إلى مواطن الهدى والرشاد .

عبد الرءوف عون

محتويات الكتاب

صفحة

الاهداء ٥

تصدير ٧

مقـــدمة ١٣

تمهيـــد :

البيئة العربية وحروب العرب فى الجاهلية ٢٩

الفصل الأول :

نظرة الإسلام إلى الحروب ومشروعيتها فيه ٦١

الفصل الثانى :

جمع القوات وتنظيمها وإمدادها ٧٥

الفصل الثالث :

أسلحة القتال ١٢٩

الفصل الرابع :

وسائل الدفاع وآلاته ١٧٥

الفصل الخامس :

تنظيم القوات استراتيجيًّا وتكتيكيًّا ٢٠٦

الفصل السادس :

غنائم الجند ورواتبهم ٢٦٩

الفصل السابع :

السر فى اكتساح الفتوح الإسلامية ٣٠٥